مجلة الدراسات الأفريقية - العدد ٢٠ ( ١٩٩٨ ) ، ٩١ - ١٢٢

# التـــاريخ السيـاسى لمصر
## فى عهد مسلمة بن مخلد الأنصارى
## من سنة ٤٧هـ إلى ٦٢هـ

د. عبد المنعم أحمد الدسوقى

## مقدمـــة

مسلمة بن مخلد الأنصارى تولى مصر فترة إمتدت خمسة عشر عاما ما بين ٤٧-٦٢هـ كانت مصر خلالها مركزا لنشاط سياسى وحربى إما للدفاع عنها ضد أطماع الروم، أو لتحقيق رغبة الخلافة فى التوسع فى بلاد المغرب العربى ، وقد نجح هذا الرجل قبل ولايته على مصر فى أن يضبط إيقاع السياسة فيها ، فهو لم يكن مخالفا للخليفة على بن ابى طالب، وفى نفس الوقت لم يكن منحازاً لمعاوية بن ابى سفيان لأن غضبه كان لمقتل الخليفة عثمان بن عفان ، لذلك تصدى لولاة مصر الذين أرادوها دموية، وتقسيم البلد إلى شيع وأحزاب، وإستطاع أن يؤلف حزباً عثمانياً، وساعد بكل الوسائل على إنتقال السلطة فى مصر إلى الدولة الأموية .

ويعد مسلمة بن مخلد الأنصارى الوالى العاشر فى سلسلة الولاة الذين تولوا مصر منذ الفتح الاسلامى ، وكان له دوره البارز فى التأكيد على الانتماء الاسلامى، وتحقيق سياسة داخلية وخارجية متوائمة مع واقع الدولة الاسلامية، وقد نجح الى حد بعيد فى تحقيق سياسة بنى أمية فى مصر وفتح الطريق أمام المسلمين للتوغل فى بلاد المغرب .

وقد رأيت عمل بحث عن سياسة مصر الداخلية والخارجية فى عهده واضعا أمامى الاعتبارات الآتية:

* كلية التربية - جامعة المنصورة .

**أولا:** خصوصية إنتماء مسلمة بن مخلد للأمويين مع كونه أنصاريا، فقد كان دوره موجها منذ البداية لصالح المعسكر الأموى، وهى خصوصية لم تجتمع إلا فى نفر قليل من الأنصار، إذ المعروف أن معظمهم كان منحاز لبنى هاشم .

**ثانيا:** اختصاصة لأول مرة بالجمع بين ولايتى مصر وبلاد المغرب كولاية عامة وهى لم تجتمع لوال من قبله، وإطلاق يده فى حماية الجبهة الغربية للدولة الأموية، وتدعيم الوجود الأموى جنوب البحر المتوسط .

**ثالثا:** بلاؤه المزدوج فى مجال السياسة الخارجية حيث أنه بدأ فى فتح المغرب الأوسط وبعض جزر البحر المتوسط ، ومساندة الدولة الأموية فى حربها ضد الدولة البيزنطية، وفى ميدان السياسة الداخلية فرض الاستقرار فى مصر والأقاليم التابعة لها ، فقد تولى مصر بعد فترة اضطراب ثم عادت الى الإضطراب مرة أخرى بعد وفاته .

**رابعاً:** أهمية القاء الضوء على تاريخ مصر وبلاد المغرب من خلال ولاية مسلمة بن مخلد على الرغم من قلة المعلومات التى وردت عنه فقد جمعت المعلومات من متفرقات فى ثنايا المصادر التاريخية. كما أن المصادر المتخصصة لم تعرض له إلا فى شذرات لا تكاد تفى بالغرض، أما باقى المصادر فقد اكتفت بإشارات تاريخية فقط ، وذلك على الرغم من أهمية الدور الذى قام به مسلمة بن مخلد الأنصارى ، خلال ولايته .

***والله ولى التوفيق***

**مقومات شخصية مسلمة وآثرها فى سياسته الداخلية والخارجية :**

مسلمة بن مخلد[١]، أحد القادة العرب الأربعة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن الخطاب على رأس المدد الحربى لمساعدة القائد العام عمرو بن العاص لفتح مصر، وقد أطلق المؤرخون على هذا المدد الطليعة الثانية[٢]، وبذلك يرجع الفضل الى الخليفة الراشد الثانى فى الدفع بمسلمة الى المعترك السياسى وهو لم يتجاوز العشرين من عمره[٣]، وقد ثار جدل بين مؤرخى فترة الفتح الإسلامى لمصر حول كون مسلمة أحد القادة الأربعة ، فبعضهم ذكر خارجة بن حذافة العدوى بدلا منه، إلا أن أحداث الفتح تؤكد وجود مسلمة وحذيفة مع اختلاف الدور الذى قام به كل منهما، فقد استمر دور مسلمة فى مصر إلى أن تولى عليها هى وأفريقية ، وهو الوحيد من بين القادة الأربعة الذى ولى مصر بقصد تحقيق سياسة بنى أمية، بينما قتل خارجة على يد أحد الخوارج الذى وصل الى مصر لاغتيال عمرو بن العاص ضمن خطة خارجية للتخلص من على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان[٤].

---

(١) هو من بنى ساعده بن كعب الخزرجيين أبوه مخلد بن الصامت بن لوذان بن عبد بن ثعلبة، قتل أبوه فى حرب بعاث التى وقعت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بثلاثة أعوام وهو ابن عم ابى دجانة سماك بن خرشة بطل موقعة القادسية، أى أنه من اسرة لها دور بارز فى الفتوحات الإسلامية، وإن كان الغموض يكتنف فترة شبابه قبل اشتراكه فى فتح مصر .

ابن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة، دار أحياء التراث العربى، لبنان، جـ ٥ ، ص٣٦٤

ابن حزم : جمهرة انساب العرب ، طبعة دار المعارف، تحقيق عبد السلام هارون ٣٤٥ . ٣٦٦ .

(٢) نقل ابن عبد الحكم عن جماعة رواته أنه لما أبطا فتح حصن بابليون على عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة عنر بن الخطاب يستمده ويعلمه ذلك، فأمده باربعة الآف رجل على كل الف رجل مقام الألف هم الزبير بن العوام الأسدى، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، وقيل خارجة بن خذافة العدوى، فى حين لا يذكر الدكتور حسن إبراهيم اسم خارجة . فتوح مصر وأخبارها، طبع مؤسسة دار التعاون ١٩٧٤، ص ٥٠ .

أنظر أيضا "Islamic Egypt" Watterson: The Egyptians .

(٣) ذكر مسلمة لاصحابة أنه ولد فى العام الذى هاجر فية الرسول عليه السلام إلى المدينة، ابن الاثير: أسد الغابة جـ٤ ، ص ٣٦٥ .

(٤)وردت هذه القصة فى كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، لأبى المحاسن ، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومى جـ١ ، ١١٤.

قام مسلمة بن مخلد الأنصارى بدور فاعل فى عملية فتح مصر منذ أن وطئت قدماه أرضها فلم يترك أى موقف سياسى إلا وساهم فيه، فيذكر أنه لما استعصى حصن بابليون على المسلمين أقترح الزبير بن العوام على عمرو تشكيل كتيبة لاقتحام الحصن تحت قيادته، وفعلا اختار مجموعة للاقتحام كان مسلمة من بين أفرادها، وكان ضمن الذين صعدوا الحصن وتمكنوا من فتحة للمسلمين وهذا يؤكد أخلاصه وما كان له من أثر فى أعجاب القادة به، الأمر الذى جعل المقوقس يسعى لطلب الصلح من عمرو بن العاص(٥).

بعد أن تم فتح وإقرار الأمور فيها أقام عمرو بن العاص مدة، وكتب إلى الخليفة يستأذنه فى المضى لاستكمال الفتوح، وكان الروم البيزنطنين بعد هزيمتهم فى مصر قد تحالفوا مع من تبعهم من قبط مصر على الاجتماع فى الاسكندرية ومحاربة المسلمين لوقف إمتداد الفتح الاسلامى(٦).

وصل أمر الخليفة الى قائده فى مصر بالتوجه الى الاسكندرية على رأس جيش، ففعل عمرو بن العاص ذلك واستخلف على مصر خارجة بن حذافة ، وخرج مسلمة مع جيش الفتح مما يؤكد دوره الفاعل فى عملية الفتح، وحاصر المسلمون الإسكندرية ، وحدثت أثناء الحصار مناوشات من بعض رجال الروم والمسلمين كان ابرزها أن رجلا من الروم بارز مسلمة بن مخلد الأنصارى، فصرعة الرومى والقاه عن فرسه وكاد يقتله لولا أن رجلا من المسلمين أنقذه ، فغضب عمرو من موقف مسلمة واعتقد أنه تخاذل، وأسمعه من الكلام ما أساءه، ولكن الامر كان على غير ما اعتقد عمرو، فقد أظهر مسلمة ضروبا من البطولة فيما بعد، فعندما هجمت الروم على العرب واخرجوهم من الحصن تخلف أربعة من قادة العرب عن الخروج منهم عمرو ومسلمة، ووقعوا أسرى إلا

---

(٤) وردت هذه القصة فى كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، لابى المحاسن طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومى جـ١ ، ١١٤.

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٢، ١١٩.

(٦) البلاذرى : فتوح البلدان مكتبة الهلال بيروت سنة ١٩٨٣ ص ٢١٨ ويذكر ابن عبد الحكم أن ملك الروم قال لئن ظفرت العرب على الاسكندرية أن فى ذلك إنقطاع ملك الروم وهلاكهم، وخرج مع الروم إلى الاسكندرية، فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٩ .

أنهم رغم قتلهم استطاعوا هزيمة البيزنطيين بفضل موقف مسلمة ، فقد فاوض قادة الروم الأسرى المسلمين علي أن يبادلوهم بأسري من الروم، ولا يعرفون أن الاسرى هم قادة المسلمين، فأبى عمرو بن العاص، ومن معه إلا القتال أو الحرية، وأخرج الروم رجلا معروفاً عنه الشدة لمنازلة عمرو بن العاص، فتقدم مسلمة لفداء قائده وبذل نفسه بدلا منه مخافة أن يقتل فيفت ذلك فى عضد المسلمين، وتقدم للمنازلة واستطاع الظهور على القائد البيزنطى وقتله، هذا العمل من مسلمة كان محل إعجاب عمرو وتقديره، وجعل عمرو يضعه فى طائفة مستشاريه، وإنتهى الأمر بإطلاق سراح قادة المسلمين، ففتح لهم الروم باب الحصن وخرجوا دون أن يدرى قادتهم أنهم أمراء القوم(٧).

قرر عمرو بن العاص فرض الحصار على حصن الإسكندرية مرة أخرى بناء على كتاب وصله من أمير المؤمنين ، فجمع قادته واستشارهم فيما يجب القيام به، وخص مسلمة بن مخلد بالمشورة لما كان يتميز به من رجاحة عقل وحسن تدبير، ولم تكن هذه الخصوصية الا لمسلمة وهذا يؤكد حرصه على الوجود الإسلامى فى مصر ، فأشار عليه مسلمة بمشورة تدل على أنه رجل سياسة من الطراز الأول، وهي أن يعقد لرجل من قادة المسلمين على جيش ليباشر الفتح وطرح عليه أسم عبادة بن الصامت الأنصارى، فعقد له عمرو ، وظل عبادة على الحرب حتى تم فتح الإسكندرية فى المحرم من سنة ٢٠ هـ/٦٤١م(٨)، وهذا لاشك يؤكد الخبرة الحربية عند مسلمة ومقدرته على معرفة الرجال، وهو على ذلك لم يتجاوز الحادية و العشرين من عمره، وأنتهى الأمر بعقد هدنة أكدت الوجود الاسلامى فى مصر(٩).

لم يستقر المسلمون فى الإسكندرية بل عادوا إلى مصر بناء على أمر الخليفة عمر بن الخطاب، فترك عمرو بها حامية من قبله، وداوم على إرسال قوة عسكرية ترابط فى

---

(٧) ذكرا بن عبد الحكم أن عمرو قد أساء الى مسلمة حين صرعه رجل من الروم أثناء الالتحام فى الحصن، ثم اعترف لمسلمه بسداد موقفه واستحيا من إساءته إليه وطلب منه الصفح قائلا: ما أفحشت الا ثلاث مرات ، مرتين فى الجاهلية وهذه الثالثة : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٠ .

(٨) المقريزى : المواعظ والاعتبار ( الخطط) ، مكتبة الحلبى ، جـ ١، ص ١٦٥ .

(٩) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، دار الكتب العلمية بيروت، جـ ٢ ، ص ٤٠٨ .

الإسكندرية على فترات كل عام حتى لا يفكر الروم فى العودة إلى احتلالها ، ثم عاد إلى مصر لبناء مدينة للعرب القادمين للاستقرار كما حدث للمحاربين الذين استقروا فى العراق سواء فى الكوفة أو البصرة، وخط عمرو الفسطاط وأنزل الناس حسب قبائلهم ، فكان مسلمة بن مخلد ضمن الخطة التى ضمت الأنصار إلى جانب قبائل قريش وأسلم ومزينة وغيرهم(١٠).

وقد اشترك مسلمة بن مخلد فى العمل الإدارى فى مصر منذ أن نزلها ، فبعد أن استقر المسلمون . عمل عمرو بن العاص على استخلاص جماعة من أبرز الصحابة لمساعدتة في إدارة شئون الدولة، وكان مسلمة من ضمن الذين استعان بهم ، فقد قدر عمرو الدور الذى قام به مسلمة على صعيد الفتح العربى لمصر فاحب أن يكافأه فولاه عملية الإشراف على الطواحين بعد أن رفض القيام بجمع الضرائب والمكوس (١١).

**عبقرية مسلمة بن مخلد الأنصارى فى تأكيد الوجود الأموى فى مصر:**

لم يشترك مسلمة فى الأحداث التى جرت بالمدينة المنورة إبان عهد الخليفة عثمان بن عفان ، حيث لم يثبت أنه ترك مصر منذ أن دخلها(١٢)، إلا أنه نجح فى تكوين جبهه فى مصر مناصرة لبنى أمية أنطلاقا من حزنه على مقتل الخليفة ، وقد وضح ذلك فى الماضى عندما استغل محمد بن ابى حذيفة(١٣) ، فرصة خروج عبد الله بن

---

(١٠) يذكر المقريزى أن عمراً اختط لنفسه دارا بجوار المسجد، وشيد لكبار الصحابة خططا إلى جواره منهم قادة الفتح، وكانت تسمى خطة أهل الراية أو خطة الرؤساء ، الخطط ، جـ١، ص ٢٩٧.

(١١) ذكر ابن عبد الحكم أن عمراً ولى شر حبيل بن حسنة على المكس ومسلمة على الطواحين. وهذه الوظيفة تعنى الإشراف على تجهيز الغلال والدقيق لسد حاجة الناس فتوح مصر وأخبارها، ص ١٥٢ .

(١٢) المعروف أن الزبير بن العوام عاد الى الحجاز وظل إلى أن قتل فى موقعة الجمل سنة ٣٥هـ، وعبادة بن الصامت تولى قضاء فلسطين ومات به سنة ٣٤هـ، وعاد المقداد بن عمرو الى المدينة ومات فى خلافة عثمان بن عفان، ابن الاثير : أسد الغابة، جـ٣ ، ص ١٠٦، جـ ٤ ،ص٤١٠ .

(١٣) أبوه ابى حذيفة بن عتبة بن ابى ربيعة من المسلمين الأوائل استشهد يوم اليمامة فى حروب الردة وترك ابنه محمدا فكفله عثمان واحسن تربيته، واقبل محمد على العبادة بعد أن حده الخليفة في الشراب، وطلب إلى الخليفة إن يأذن له فى السفر إلى مصر، فأذن له وإجتمع اليه الناس، =

سعد بن ابى السرح والى مصر للقاء الخليفة، وطرد نائبه عقبة بن عامر الجهنى الفسطاط فى شوال سنة ٣٥ هـ/ ٦٥٥م، واستولى على الأمور فيها من غير ولاية، ثم دعا إلى خلع الخليفة عثمان، وحرض أهل مصر على الثورة ضده حتى انقسم أهل مصر بين مؤيد للخليفة ومعارض له [١٤]، فاعتزلته شيعة عثمان تحت قيادة مسلمة بن مخلد الأنصارى ومعة خارجة بن حذافة، ومعاوية بن حديج، وبسربن ارطأة،وأرسلوا كتابا الى الخليفة بما أحدثة ابن ابى حذيفة[١٥] .

وكان تحرك الحزب الاموى فى مصر أكثر تنظيما وأبلغ تأثيراً من غيره، ويرجع ذلك إلى مسلمة[١٦]. وهذا لا يعنى أن مسلمة كان من رجال معاوية بن أبى سفيان أو من خواصه كما أشرنا، وإنما التجأ اليه لتأكيد الصلة مع بني أمية، فالمعروف أن معاوية أتخذ من مقتل الخليفة عثمان وسيلة للوصول الى سدة الخلافة ، ونجح فى تأليف أنصاره فقد كان ولاءه كما ذكرنا للخليفة ، وثار لمقتله وتصدى هو ومن معه لابن ابى حذيفة حتى أطلق المؤرخون عليه وعلى من سار على دربه لقب « لقب العثمانية »، ولم تولى محمد بن ابى بكر مصر من قبل الخليفة على بن ابى طالب خلفاً لقيس بن سعد بن عباده الأنصارى[١٧]، وطمع معاوية بن ابى سفيان فى مصر بعد موقعة صفين ٣٧هـ/٦٥٧م راسل العثمانية الموجودين فى مصر من أجل ذلك الغرض وكانوا قد

---

ثم حدث خلاف بينه وبين واليها ابن ابى السرج ، وتحالف معه محمد بن أبى بكر واظهرا الخلاف ضد الخليفة . تلخيص عن البلاذرى، أنساب الاشراف، مؤسسة الاعلمى، بيروت، تحقيق محمد باقر المحمودى ، جـ٢، ص ٣٨٧، ٣٨٨ .

(١٤) ضمت جهة المعارضة كلا من عمرو بن العاص وعمار بن ياسر ومحمد بن أبى حذيفة، ومحمد بن أبى بكر ومن أنضم اليهم . يوسف العش : الدولة الأموية دار الفكر ، بدمشق، ١٩٨٥، ص ٦٩.

(١٥) محمد بن يوسف الكندى : ولاة مصر، طبعة دار صادر ، ٣٨ . ٣٩.

(١٦) يذكر أبن عبد الحكم أن ثمة علاقة بين مسلمة بن مخلد ومعاوية بن حديج السكونى حيث اشتركا معا فى جيش أرسله عبد الله بن سعد ابى السرج لفتح بلاد المغرب سنة ٣٤ هـ ، فتوح مصر واخبارها، ١٣١ .

(١٧)وكان على بن ابى طالب عزل قيس عنها بعدما نجح معاوية بن ابى سفيان فى إيقاع فى الفتنة بينهما وكان محمد بن ابى بكر قليل الخبرة، فثار العثمانية ضده وناصبوه العداء.

اعتصموا تحت قيادة مسلمة بن مخلد الأنصارى ومعاوية بن حديج فى عشرة الالف رجل فى مدينة خربتا(١٨).

يرجع الفضل الى مسلمة بن مخلد فى إنتقال مصر من حكم على بن ابى طالب الى بنى أمية وقد سعى إلى ذلك منذ مقتل الخليفة عثمان ، فاستغل أضطراب الأحوال السياسة فى مصر، وانشغال الخلافة بقتال الخوارج، وذلك عندما كتب كتابا إلى معاوية يطلب إليه إرسال جيش لدخول مصر قائلا: أما بعد فعجل علينا بخيلك ورجالك، إن عدونا أصبحو لنا هائبين، فإن أتانا المدد من قبلك يفتح الله علينا، فأسرع معاوية بتجهيز جيش من فلسطين وأرسله تحت قيادة عمرو بن العاص، ولما نزل مصر إنضم إلية مسلمة ومن معه وتعاونوا فى القضاء على محمد بن أبى بكر، وإنهاء عهد الخلفاء الراشدين وبذلك أنتقل الحكم إلى معاوية(١٩).

وهناك خبر إنفرد به خليفة بن خياط ذكر فيه أن مسلمة بن مخلد اشترك مع معاوية فى موقعة صفين حيث يذكر معاوية كان يتكون من مجموعة الألوية أحدهم لواء يضم أهل فلسطين كان تحت قيادة مسلمة فى مسيرة الجيش(٢٠)، إلا أننا لا نؤيد هذه المقولة لأن مسلمة كان فى وقت معركة صفين يتولى قيادة العثمانية فى مصر فى صراعهم مع واليها محمد بن أبى حذيفة ومن بعده محمد بن أبى بكر، وقد ثبت أنه اعتصم بمن معه فى خربتا من رمضان ٣٦ هـ حتي مقتل محمد بن أبى بكر فى صفر سنة ٣٨ هـ/ ٦٥٨م(٢١).

---

(١٨) خربتا : كورة من كور مصر فى الجوف الغربى قرب الإسكندرية . ياقوت : معجم البلدان، طبعة دار صادر، جـ٢، ص ٣٥٥ .

(١٩) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ، طبعة وزارة الثقافة، جـ١، ص ١٠٨ وما بعدها .

(٢٠) تاريخ خليفة بن خياط، دار صادر ، ص ١٩٥.

(٢١) يبدو أن خليفة بن خياط التبس عليه الأمر فذكر مسلمة بن مخلد قائدا على ميسرة معاوية بدلا من حبيب بن مسلمة ، أنظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ، ١١ ومابعدها عن أحداث سنة ٣٧ هـ، وقعة صفين تحت عنوان تكتيب الكتائب وتعبئتها رواية ابى مخنف لوط بن يحيى الأزدي .

## مسلمة بن مخلد واليا على مصر وبلاد المغرب :

إنتقلت السيادة فى مصر إلى البيت الأموى قبل نهاية عصر الخلافة الراشدة وذلك عندما وليها عمرو بن العاص فى ربيع الأول سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨ م من قيل معاوية بعد مقتل محمد بن أبى بكر إلى أن مات سنة ٤٣ هـ / ٦٦٣م، ثم عتبة بن أبى سفيان، ثم عقبة بن عامر الجهنى، وكان قد تولى الصلاة والخراج بها (٢٢)، وفى شهر ربيع الأول سنة ٤٧ هـ / ٦٧م وفد مسلمة بم مخلد إلى دمشق والتقى مع الخليفة معاوية، وكتب له عهدا بولاية مصر، المعروف أن الأنصار كانوا جميعهم فى معسكر الأمام على بن ابى طالب، ولم يشذ عنهم إلا مسلمة بن مخلد والنعمان بن بشير فكافأهم معاوية بأن والى مسلمة على مصر والنعمان على حمص ببلاد الشام ، وأمر معاوية أن يكتم خبر الولاية عن عقبة بن عامر الوالى السابق، وكتب إلى عقبة يعقد له الإمارة على البحر وأمره بالخروج فى حملة عبر البحر المتوسط لفتح جزيرة رودس (٢٤).

كانت ولاية مسلمة على مصر صلاة وخراجا بالاضافة إلى بلاد المغرب أشبة ما تكون بالولاية العامة، فهى خصوصية لم تجتمع لوال قبله منذ الفتح الإسلامى لمصر، وبناء على ذلك أصبح مسلمة مسئولا عن شئون الإدارة والفتح فى مصر الشمال الأفريقى للخليفة الأموى، واستمر على ولايته دون أن ينازعة أحد لمدة خمس عشرة سنة ، ويعد مسلمة الخليفة العاشر من بين الولاة الذين تولوا شئون مصر منذ الفتح الإسلامى (٢٥).

---

(٢٢) عقبة بن عامر الجهنى من أصحاب رسول الله ، صحب معاوية بن أبى سفيان وشهد معه صفين ، وشهد قبلها حروب الشام ، ولى مصر من قبل معاوية وسكنها ، ومات سنة ٥٨ هـ . ابن الأثير : ، أسد الغابة، جـ ٣ ، ص ٤١٧ .

(٢٣) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ، جـ ٢، ص ٢٣٤ .

(٢٤) الكندى، ولاه مصر، ٦٠، وقد حدث هناك خلاف بين المؤرخين حول السنة التى تولى فيها مسلمة وقد اعتمدنا على رواية الكندى لأنه تخصص فى الحديث هن ولاة مصر ،

(٢٥) الكندى ، ولاة مصر، ص ٦١ .

كانت مصر مقبلة على مرحلة جديدة من الإنطلاق نحو الفتوحات الخارجية بعد أن أنتهى الصراع السياسى لمصلحة بنى أمية ، فقد سعى الخليفة معاوية بن أبى سفيان نحو تفريغ مصر من أنصار الخليفة على بن أبى طالب [٢٦] ، ومن ثم سلم المصريون بالأمر الواقع إلى أمية ولم يعد هناك من ينازعهم السلطة .

يرجع اختيار معاوية لمسلمة بن مخلد قائد لمصر وبلاد المغرب إلى عدة أمور منها ، **أولاً** : اعترافاً منه بفضل مسلمة فى تهيئة الأمور فى مصر لصالح بنى أمية ، فهو الذى أتصل بمعاوية وطلب اليه ارسال جيش أموى ، **ثانيا** : موقف مسلمة الرافض لمقتل الخليفة عثمان بن عفان وقيادة الثورة المضادة فى مصر ، **ثالثا** : تمسك مسلمة بالبقاء فى مصر ورفضة مغادرة كما فعل كثير من الصحابة إلى أن تولى أمرها ، مع أن هناك من المؤرخين من يرى أن مسلمة أنضم الى جانب معاوية فى موقعة صفين سنة ٣٧ هـ / ٦٥٧م وقد أوضحا ذلك سابقا [٢٧].

ويمكن القول بأن مسلمة بن مخلد الأنصارى قد إجتمع بمعاوية بعد المعركة، ولم يحضرها، وذلك أعتماداً على ما بين أيدينا من مصادر، وبناء على ما جاء فى سرد أحداث المعركة، فحينما لجأ الحزب الأموى إلى رفع المصاحف على أسنة الرماح لوقف تقدم جيش الخليفة فطن على بن أبى طالب إلى الحيلة التى لجأ اليها معاوية وعرف أنها خدعة وحذر من القائمين عليها وذكر أسماؤهم ولم يذكر فيهم مسلمة، وإذا كان مسلمة قد أشترك فى الحرب فلابد أن يكون مكانة معلوم وتأثيره ظاهر للأمام على [٢٨].

---

(٢٦) وقد حدث عندما جاهد هو وعمرو بن العاص على أن يخرجا قيس بن سعد بن عبادة والى على بن أبى طالب من مصر ليغلبا عليها، لأن قيسا نجح فى أقرار الأمور فيها لصالح الخليفة . أنظر الطبرى، تاريخ الطبرى، أحداث سنة ٣٦، جـ٤، ص ٥٥٢ . ٥٥٣ ،

(٢٧) يذكر ابن الأعثم الكوفى أن معاوية حينما رأى تجمع الأنصار فى جيش على أستدعى النعمان بن بشير ومسلمة بن مخلد ولم يكن معه من الأنصار غيرهما، وأغلظ لهما فى القول، كتاب الفتوح، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ .

(٢٨) روى الطبرى عن أبى مخنف راوية العراق أن عليا قال لأصحابة: عباد الله ، أمضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم، فان معاوية وعمرو بن العاص، عقبة بن أبى معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبى سرح، والضحاك بن قيس ليسوا أصحاب دين ولا قرآن، وما رفعوا المصاحف الا خديعة ودهنا تاريخ الطبرى جـ ٥ ٤٨ . ٤٩.

الحق أن معـاوية بن أبى سفيان ما كان يأتى بأمر الا لتحقيق المصلحة السياسية لا تغلبه عليها العواطف، والدليل أنه عندما عزل عقبة بن عامر الجهنى عن مصر انتدبه للخروج للحرب، لأن المرحلة المقبلة تتطلب وجود قائداً لمصر له مالمسلمة بن مخلد من مواصفات أبرزها : ***أولاً*** ميله إلى الخليفة عثمان بن عفان وبنى أميه وتحقيق تطلعات معاوية، ***ثانيا*** : معرفته بطبيعة الشعب المصرى وقدرته على السيطرة السياسية عليه ذلك لانه ظل مقيما فى مصر ما يقرب من ربع قرن من الزمان[٢٩]. ***ثالثا*** أن طبيعة معاوية فى أختيار معاونية تؤكد ما ذهبنا اليه، وهذا ما حدث عندما أختار المغيرة بن شعبة لما له من خبرة فى قيادة العراق لوقف المد الشيعى والخارجى فيها، ومن بعده زياد بن أبية، وبالمثل جاء أختياره لمسلمة لقيادة مصر ، والمعروف أن معاوية رفض تولية عبد الله بن عمرو بن العاص على مصر بعد وفاة أبية على الرغم من أنه كان من جند معاوية المخلصين فى موقعة صفين ، وذلك لأنه ليس الرجل الذى يناسب المرحلة التى ينشدها معاوية، وإن كان هناك خبر يقول بأن معاوية كان يسعى لتوليه ابن أخته عبد الرحمن بن عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفى ـ ابن أم الحكم ـ بعدما أساء السيرة فى أهل الكوفة وأخرجوه منها ، فلما سار متوجها إلى مصر تلقاه معاوية بن حديج قبل دخول مصر وقال له : أرجع إلى خالك معاوية ، فلعمرى لا ندعك تدخلها فتسير فيها وفنيا سيرتك فى إخواننا من أهل الكوفة ، وتحدث معاوية بن حديج بحديث مماثل أمام معاوية، فعدل معاوية عن توليته [٣٠] ، وأن صح ذلك يمكن أن نضيف سببا ***رابعا*** لاختياره لمسلمة هو أن معاوية أحتوم حق رجاله فى أختيار واليهم .

## علاقات مصر الخارجية إبان ولاية مسلمة :

تحرك مسلمة نحو الشمال الإفريقى على أنه جزء من ولايته فالواضح أن معاوية ترك له حرية التصرف في الفتوح وأصبحت من حق الوالى بعد أن كان الخليفة هو الذى يشرف عليها ، فقد كان إرسال الجيوش وتعيين القادة من قبل الخليفة مباشرة[٣١] نجح

---

(٢٩) المعروف أن مسلمة قدم إلى مصر فى الطليعة العربيج الثانية سنة ١٩ هـ وظل بها إلى أن تولى عليها سنة ٤٧ هـ .

(٣٠) ابن كثير : البداية والنهاية ، دار الفكر العربى ، جـ ٨ ، ص ٨٨ .

(٣١) يفهم من النص الذى أورده الكندى أن معاوية بن أبى سفيان ولى مسلمة أمر مصر ونزع عنها عقبة بن عامر ، وتفرغ للحرب فى أفريقية ورودس، فخرج مسلمة مع عقبة إلى الإسكندرية وذلك فى سنة ٤٧ هـ ولاة مصر ، ص ٦٠ ،

مسلمة بن مخلد فى استغلال إمكانات مصر الاقتصادية والبشرية لتحقيق أهداف الدولة الأموية فى الشمال الأفريقى ، فكون جيشا كبيراً ومدربا وأختار له القائد الكفء، ويؤكد ذلك أنه انتهج سياسة جديد تجاه المغرب أنه قام بعزل عقبة بن نافع عن الحرب فيها بعد أن قضى ثمانى سنوات فاتحا فى الشمال الافريقى [٣٢] وولى عليها رجل من مواليه يدعى أبو المهاجر دينار[٣٣] ولابد يكون لدى مسلمة اسبابا لعزل عقبة بن نافع منها **أولا** : أنه كان ينزع إلى التصرف فى عملية الفتح من تلقاء نفسة دون الرجوع اليه، **ثانيا** السياسة العنيقة التى كان يتبعها عقبة فى المغرب لم يرض عنها مسلمة ، والدليل على ذلك أن واليه الجديد أبو المهاجر دينار سار على عكس سياسية عقبة ، وعمل بما أشار به مسلمة، **ثالثا** التنافس الذى كان بين عقبة ومسلمة، فقد كانا من كبار رجال الدولة ورأى مسلمة أن ذلك قد يكون عائقا أمامه لاتمام عملية الفتح كما يراها[٣٤]، والرأى عندنا أن التغير كان من قبل تجديد الدماء وتعديل خطة الفتح .

ولأول مرة يتم اختيار قائد الجيش بمعرفة الوالى مباشرة دون الرجوع الى الخلفية، وهذه خصوصية أخرى لم تعط إلا لمسلمة لثقة معاوية فية ، وعلى هذا الأساس جاء أختيار مسلمة بن مخلد لقائد أبى المهاجر دينار ، وقد أكدنا على أن مسلمة لم يختر أبى المهاجر عن قرابة كما ذهبت بعض المصادر ، لأن مسلمة اراد تنفيذ خطة فى بلاد المغرب قوامها نشر الإسلام السلمى ورأى أن أبا المهاجر هو أقدر على تحقيقها بصرف النظر عن درجة القرابة وإن كانت موجوده فهى ليست قرابة نسب ، فمع عدم الوقوف على تكمله اسم هذا الرجل إلا أنه كان من موالى مسلمة ، وكان مسلمة يقول :

---

(٣٢) شارك عقبة بن نافع فى حملة معاوية بن حديج على أفريقية سنة ٤٥ هـ، فاتجه معاوية إلى سوسة وبنزرت ، بينما أتجه عقبة لفتح الصحراوات الجنوبية كما كان يفعل مع عمرو بن العاص ، ثم كانت حملة الثانية سنة ٥٠ هـ التى بنى منها مدينة القيروان د/ سعد زعلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربى ، جـ١ ، ص ١٧٨ .

(٣٣) أبو المهاجر دينار فاتح كان مولى لبنى مخزوم ثم الأنصار، خير الدين الزركلى ، الأعلام، جـ ٣، ٢٥ .

(٣٤) سعد زغلول، تاريخ المغرب العربى، جـ ١، ص ١٨٨، ١٨٩.

« أبو المهاجر واحد منا » [٣٥]، ولم نجد للخليفة أى دور فى أختياره ، وقد اختلفت الروايات حول السنة التى تولى فيها أبو المهاجر على جيش المغرب فقد ذكر ابن عبد الحكم أن مسلمة عزل عقبة بن نافع وولى أبى المهاجر سنة ٥١هـ / ٦٧١م [٣٦]، فى حين يذكر ابن الاثير أن توليته تمت سنة ٥٥ هـ / ٦٧٥ م[٣٧] أما خليفة بن خياط فيذكر أن توليته كانت فى سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م [٣٨]ونحن نميل إلى رأى ابن الأثير لأنه يذكر الأحداث حسب وقوعها حوليا، وهو أقرب المؤرخين إلى الصواب فى ذكر تواريخ الأحداث. وقد كان لتولية أبى المهاجر دينار على الحرب فى بلاد المغرب أثر فى أستقر الفتوح بدليل أنه ظل قائما على شئون الحرب سبع سنوات هى بقية عهد مسلمة بن مخلد وكان عزلة عنها سنة ٦٢ هـ / ٦٨١ م بعد وفاة مسلمة حينما عزله الخليفة يزيد بن معاوية وأعاد عقبة بن نافع مرة أخرى .

بنى مسلمة سياسته على أن يستكمل أبو المهاجر ما بدأه عقبة ولا يبدأ من جديد، لذلك أوصاه أن يصحب معه عقبة للاستفادة من تجربته السابقة ومعرفتة بأحوال البربر حيث سبق له العمل فى بلاد المغرب منذ سنة ٤٦ هـ / ٦٦٩ م حتى ٥٥ هـ ، واعترافا من مسلمة بفضل عقبة أوصى أبا المهاجر أن يعامله بالحسنى ويستشيره فى أموره، غير أن أبا المهاجر خالف ما أمره به الوالى وأساء عزله ، وأوقره حديدا ، وظل على ذلك فترة لم تحددها المصادر إلى أن أتصل عقبة بالخليفة معاوية رأسا ، فكتب معاوية إلى أبى المهاجر للأسباب التى ذكرنها كتابا بتخليه سبيله وإيفاده إليه [٣٩].

---

(٣٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٣٤ .

(٣٦) فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٤.

(٣٧) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ، أحداث سنة ٥٥، جـ ٣ ، ص ٣٢٠.

(٣٨) يذكر خليفة بن خياط أن أبا المهاجر كان مع خالد بن ثابت الفهرى فى بلاد المغرب فأمر مسلمة خالدا بالعودة إلى مصر على أن يخلفة أبو المهاجر، وكان ذلك فى سنة ٥٤ هـ ولايمكن القطع بصحة التوقيت لانه الوحيد الذى ذكر هذه الرواية إلى جانب نزوعه أحيانا إلي خلط الأحداث .تاريخ خليفة، ٢٢٣ ويذكر عبيد الله بن سلام فى كتاب الأموال ١٦٧ أن أسمه خالد بن ثابت الفهمى وليس الفهرى .

(٣٩) ابن عبد الحكم فتوح مصر، ص ١٤٣ .

رفض مسلمة ماأشار به معاوية باقرار عقبة على الجيش لماله من حسن السابقة وفضل بقاء أبى المهاجر لذلك قال لمعاوية : أن أبا المهاجر صبر علينا فى غير ولاية ، ولا كبير نيل ، ونحن نحب أن نكافأه [٤٠].

لم يتول عقبة عملا حربيا على الساحة الإفريقية إلا بعد وفاة مسلمة بن مخلد الأنصارى على خلاف ما خرجت به الروايات ، فقد ذكرت إحداها إن عقبة بن نافع غزا أفريقية سنة ٥٨ هـ من قبل مسلمة بن مخلد ، واختط مدينة القيروان وابتناها[٤١] إذ المعروف حسب إجماع الرويات التاريخية أن عقبة بدأ فى بناء مدينة القيروان سنة ٥٠هـ/ ٦٧٠م واستكملها فى سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م وسكنها الناس وذلك قبل عزله عن بلاد المغرب بأبي المهاجر دينار [٤٢].

جهز مسلمة الجيش وبعث به من مصر سنة ٥٥ هـ / ٦٧٤ م وكان يتألف من أهل الشام ومصر يقوده ابى المهاجر دينار ، وقد بني سياسته علي أن يقوم بعملية المزج والتقريب بين العرب والبربر حسب التعليمات التي تلقاها من مسلمة بن مخلد ، وقد وضح ذلك في أنه لم بنزل القيروان التي بناها عقبه ، وفضل النزول في منطقة خاصة به تسمي دكرور قرب القيروان ، كما تضمنت سياسته الحرص علي الاستقرار في أفريقيا لمتابعة عملية الفتح ، حيث كان المتبع فيما سبق أن يغزو الجيش ثم يعود إلي الفسطاط ليتجهز لغزوة أخري ، لذلك اتخد للجيش معسكراً لتخرج منه الحملات صيفاً وشتاء[٤٣].

نجحت سياسة أبي المهاجر دينار في مواجهة الخطط الحربية للإمبراطورية البيزنطية صاحبة السيادة على افريقية في ذلك الوقت ، وكانت تقوم على إثارة البربر ضد العرب

---

(٤٠) ابن عبد الحكم فتوح مصر وأخبارها ١٣٣ ، ١٣٤ ويذكر ابن الأثير أن عقبة سار إلي الشام ، وعاتب معاوية علي ما فعلة به أبو المهاجر دينار ، فاعتذر اليه معاوية ووعده بأن يرده إلي عمله إلا أن ذلك لم يتحقق في ولايته حيث لم يعد إلي بلاد المغرب إلا في عهد يزيد بن معاوية٦٢هـ المامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ .

(٤١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة جـ ١ ، ص ١٥٠ .

(٤٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ١٢٠ .

(٤٣) ابن عبد الحكم فتوح مصر واخبارها ، ص ١٣٤ .

بقصد منع المسلمين من التقدم من القيروان للزحف علي الشمال الأفريقى ، وقد أدرك أبو المهاجر ما كان يرمي إليه البيزنطيون ، وسعي لافساد خططهم ونجح في ذلك إلي حد بعيد ، فسعي لاكتساب البربر إليه لأول مرة بالسياسة قبل الحرب ، وقد وضح ذلك في مهادنته كسيلة بن لمزم زعيم قبيلة أوربة ، ونجح في أقناعه باعتناق الإسلام وكان لهذا العمل عظيم الأثر في تعبيد الطريق إلي الإسلام ونشره بين البربر ، وكذلك اقناع البربر بأهمية الفتح الإسلامي لبلادهم [٤٤].

استغرق توطئة الأمر للإسلام في الشمال الأفريقى نحو أربعة أعوام ، فقد بدأ أبو المهاجر نشاطه العسكري جديا سنة ٥٩ هـ / ٦٧٨ م بعدما هيأ الامور للمسلمين ، ونشر الألفة بينهم وبين البربر ، فالمعروف أن أبا المهاجر [٤٥] أخذ يوجه السريا إلي المناطق التى لم يفتحها المسلمون ، فنزل مدينة قرطاجنة [٤٦]وضرب عليها الحصار ، فخرج البيزنطيون لحربهم وحدثت معركة بين الفريقين لم يستطيع أحد من الفريقين حسمها لصالحه حيث تفشت الحراج بينهما ، فلجاء أبو المهاجر إلي الانحياز بجيشه فترك قرطاجنة ونزل فى بلدة قبلة بولس [٤٧].

أعاد أبو المهاجر تنظيم جيشه قبل أن يتمكن البيزنطيون من طلب المدد ، فهاجم وتمكن من الظهور عليهم حتى الجأهم إلى طلب الصلح ، تم بمقتضاه أن يخلى البيزنطيون للعرب جزيرة شريك أو باشو على ساحل البحر[٤٧]. ثم واصل تقدمه فاتحا حتى أنتهى إلى عيون أبو المهاجر كما افتتح ميلة [٤٩].ثم قام أبو المهاجر

---

(٤٤) إبراهيم العدوي التاريخ الإسلامي طبعة الإنجلو ١٩٧٦،ص ٢٣٦

(٤٥) Jamil M. Abun - Nasr, A History of the Maghrib P .68

(٤٦) قرطاجنة ، مدينة علي البحر المتوسط بينها وبين تونس أثني عشر ميلاً كانت إحدي المدن التي يتمركز فيها البيزنطين

ياقوت : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص ٣٢٣

(٤٧) يذكر ياقوت ابن تغري بردي أن المكان الذى نزل المسلمون يسمي قبلة بولس ، ولم يذكر غيره النجوم الزاهرة جـ١ ، ص ١٥٢

(٤٨) سميت جزيرة شريك نسبة إلي شريك بن سمي أول من فتحها في الإسلام سنة ٤٠ هـ في ولاية عمرو بن العاص المقريزي الخطط جـ ١ ٣٠ ، حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته ، ص ٩٠

(٤٩)ميلة : مدينة صغيرة باقصي إفريقة بينها وبين بجاية ثلاثة أيام ياقوت معجم البلدان ، جـ٥ ، ص٢٤٤

بتوزيع الغنـائم على الجنـود بعد أن استصفى الخمس وبعثة إلى مسلمة بن مخلد فى مصـر[٥٠].

تقدم أبو المهاجر دينار فاتحاً نحو المغرب الأوسط بعد أن استكمل فتح أفريقية – تونس – ولم تطالعنا المصادر هل أمده مسلمة بن مخلد الإنصارى بجيش آخر أم أنه اعتمد على البربر الذين اعتنقوا الإسلام . المهم أنه تقدم من ميلة التى كان قد اتخذها قاعدة لة إلى الغرب فاتحاً حتى دخل مدينة تلمسان ، وهزم البربر وأدخل قبيلة أوربه فى الإسـلام ، وأصبح زعيمها كسيلة من رجال أبى المهاجر وعاد معه إلى القيروان سنة ٦١هـ / ٦٨٠م وقد نجح أبو المهاجر فيما لم ينجح فيه عقبة بن نافع بعد ذلك، حينما عجز عن استئلاف البربر فارتد كسيلة ، وقاد البربر فى موقعة تهودة واسترد مدينة القيروان بعد أن قتل عقبة بن نافع وأبى المهاجر دينار[٥١].

مما سبق يتبين لنا أن فتوحات أبو المهاجر دينار استمرت طوال فترة حكم مسلمة بن مخلد حتى سنة ٦٢ هـ ، وقد أكسبه حرصـه على تنفيذ خطة الفتح ثقة الوالى فلم يعزله ، كما أن الخليفة كان على قناعة بعمله ، وهذا ما جعله يؤجل عودة عقبة إلى قيادة الجيش على الرغم من إلحاح عقبة، وظل عقبة يترقب صدور الأمر بتوليه إلي أن تم ذلك فى عهد يزيد بن معاوية ، وبعد وفاة مسلمة بشهور قليلة ،[٥٢].وقد اتبع يزيد سياسة مخالفة لأبيه تجاه بلاد المغرب ، ففصلها عن مصر وولاها عقبة بن نافع ، ويؤكد ذلك أن العهد الذى كتبه لسعيد بن زيد الأزى الذى خلف مسلمة بن مخلد كان ينص على أنه على صلاة مصر دون المغرب[٥٣].

لم تنسب المصادر إلى إبى المهاجر دينار قيامة بأعمال حضارية على الرغم من طول الفترة التى قضاها فاتحاً فى أفريقية ، وقد لاحظنا أن ما قام به من أعمال حضارية

---

( ٥٠) سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، جـ ١ ، ص١٩٠

(٥١) أبن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٣٤

(٥٢) توفي معاوية في رجب سنة ٦٠ هـ وتوفي مسلمة أبن مخلد في ذالقعدة سنة ٦٢ هـ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص١٩٨ ، ٢١٠ وأبن كثير البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢٣٤

(٥٣) نص ولاية العهد عند الكندي يقول ثم وليهما بن زيد الأزدى – مصر – علي صلاتها ، ثم ركز انه كان والياً علي جند مصر فى مكان آخر وولاه مصر، ٦٣

لا تقل بحال من الأحوال عما قدمه فى الميدان السياسى ، فهو قد أفتتح بلاداً نسبت اليه مثل عيون أبى المهاجر ، وجزيرة شريك ، واستمر فاتحاً حتى وصل إلى أبواب تلمسان[٥٤]. ونجح فى نشر الإسلام فى البلاد التى فتحها، كما استطاع إستمالة كسيلة إليه حتى أسلم وحسن إسلامه هو وقبيلته ، ولو استمع عقبة بن نافع لرأى أبى المهاجر لكان للمسلمين فى المغرب شأن آخر [٥٥]، وكانت سياسة دينار فى عمومها متوائمة، فقد استمال البربر والعجم، وارضى جنده فكان يوزع عليهم الأرزاق والغنائم وهو فى نفس الوقت يواظب على إرسال الأموال المستحقة إلى والى مصر، فساعدت هذه السياسة على توطيد أركان الإسلام فى بلاد المغرب.

كما نجح الجيش المصرى فى الوصول إلي المغرب الأوسط، ونشر الإسلام ، وبناء المجتمعات الإسلامية فى الشمال الأفريقى ، وأصبحت مصر مركز إنطلاق فى الجناح الغربى للدولة الأموية وكونت احتياطياً إستراتيجياً للدولة الأموية، فقد حدث أن أمد مسلمة الخليفة بقوة بحرية سنة ٤٩هـ ساعدت الدولة الأموية فى حربها لفتح القسطنطينية يقودها عابس بن سعيد المرادى ، وخرج من مصر جيش أخر وجهة مسلمة لفتح جزيرة رودس، وكان هذا أول قرار حربى أتخذه مسلمة وجعل على قيادته عقبة بن عامر الجهنى بناء على طلب الخليفة بغرض فرض سيطرة مصر على البحر المتوسط[٥٧].

## سياسة مصر الداخلية ونظمها الحضارية فى عهد مسلمة بن مخلد :

أحكم مسلمة قبضته على سياسة مصر الداخلية منذأن وليها ، وقد ذكرنا أن عمرو بن العاص كان قد اسند إليه الإشراف على بعض الأعمال[٥٨] ، كما أنه من كان

(٥٤) تلمسان مدينة بالمغرب كانت تسمي أقادير كانت مثل الفسطاط من أرض مصر ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ، ٤٤ .

(٥٥) يذكر ابن تغري بردي أن أبا المهاجر عرف عقبة بن نافع محل كسيلة ، وأمره أن يحفظ عهده ، فلم يقبل وأستخف به ، فاضمر كسيلة الغدر وراسلته الروم وحارب المسلمين النجوم ، جـ ١ ، ص ١٥٨

(٥٦) أبن الأثير : الكامل فيي التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣١٤

(٥٧) الكندي : ولاة ، ص ٦٠

(٥٨) يذكر أبن عبد الحكم أن عمرو بن العاص ولي شرحبيل به حُسنة علي المكس وولي مسلمة بن مخلد على الطواحين ، فتوح مصر ، ص ١٥٢

أصحاب الشورى المقربين ، يضاف إلى ما سبق أن دوره غير منكور فى إقرار الأمور فى مصر لبنى أمية ، وان على يديه انتهى عصر الخلفاء الراشدين بها ، وذلك عندما تصدى لمحمد بن أبى حذيفة الذى تولى مصر بغير ولاية من خليفة كما ذكرنا سابقاً، وتحالف ضده على اعتبار أنه وال غير شرعى ، وهو الذى ترأس العثمانية بمصر وتزعم قتال ابن أبى حذيفة سنه ٣٦هـ/٦٥٦[٥٩]. م ثم طلب إلى معاوية أن يرسل جيشاً لإستعادة مصر، وكان لمسلمة دوره البارز فى جمع أهل مصر على البيعة ليزيد بن معاوية خلفاً لأبية .

## أولاً : الدواوين

**ديوان الشرطة :** ذكرنا أن مسلمة تولى مصر صلاة وخراجاً وأضيفت إليه بلاد المغرب ، فبدأ بتنظيم إدارة مصر وترتيب الوظائف الإدارية بأن ولى على الشرطة السائب بن هشام بن عمرو أحد بنى مالك بن حسل [٦٠]، وظل السائب على شرطة مصر لمدة عامين إلى أن عزله مسلمة وولى مكانه عابس بن سعيد المرادى، وكان السبب فى عزل السائب أنه تقاعس فى اتمام البيعة ليزيد بن معاوية [٦١]، فعزله مسلمة وولى عابس بن سعيد فنجح فى إرغام عبد الله ابن عمرو على البيعة بعد أن هدده بإحراق قصره [٦٢] وذلك لحرص مسلمة على أقرار الأمور فى مصر لصالح بن أمية .

---

(٥٩) أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، جـ ١ ، ص ٩٤

(٦٠) السائب بن هشام بن عمرو بن العاص كنانه قام أبوه بتمزيق صحيفة المقاطعة التي كتبتها قريش ضد بني هاشم في مكة بعد بعثة الرسول ، شهد فتح مصر ، وتولي الشرطة فيها لعمرو بن العاص ومن بعده المصعب الزبير : نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفينسال ، ص ٤٣١

(٦١) فيذكر أبن عبد الحكم أن معاوية بعث لمسلمة يأمره بأخذ البيعة لأبنه ، وكان السائب علي شرطتة فكافه بإتمام البيعة غير أنه لم يتمكن من إتمامها إستحياء من عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رفض أن يبايع وطلب البيعة لنفسه ، أبن عبد الحكم فتوح مصر ، ص ١٥٤

(٦٢) يذكر أبن الحكم أن عابس بن سعيد ذهب إلي عبدالله بن عمرو ومعه كريب بن أبرهه الأصبحي وهو من شيعة بني أمية ، وسليم بن عتر القاضي ، وأرغموه علي البيعة وهددوه حتي بايع ليزيد ، فتوح مصر ص ١٥٤

ظل عابس على الشرطة عدة أشهر ثم استدعاه الأمير مسلمة وكلفه بالخروج على رأس حملة بحرية إلي القسطنطينية، والمعروف أن هذه الحملة كانت سنه ٤٩هـ [٦٣]، ومن ثم أعاد السائب بن هشام مرة أخرى، وبقى على الشرطة هذه المرةسبع سنوات[٦٤]وأخيراً عاد عابس بن سعيد إلي الشرطة وظل عليها إلى أن مات مسلمة بن مخلد سنه ٦٢هـ/ ٦٨١م، وهكذا كانت ولاية الشرطة بين السائب وعابس بالتبادل وكان عباس ينوب عن مسلمة فى ولاية مصر اثناء خروجه إلى الإسكندرية، وقد اخلص عابس فى عملة فكافأه مسلمة بأن جمع له بين الشرطة والقضاء وذلك فى عام ٦١هـ / ٦٨٠ وبعد عودته من الإسكندرية[٦٥].

أما ديوان الجند : فكانت مهمة صاحب الجند أنه ينوب عن الوالى فى تدبير أمور الجند والإثباتهم فى الديوان بعد استيفاء الشروط[٦٦].وتقدير العطاء اللازم لهم ، والمعروف أن الجيش الذى حرج لغزو شمال أفريقية كان يتألف من المصرين والعرب، وكذلك الجيش الذى خرج للإشتراك فى فتح القسطنطينية كان أفراده من الجند النظاميين الذين يتقاضون رواتب لقاء إنتظامهم فى سلك الجندية، وكان ديوان الجند فى مصر يضم أربعين ألفاً متفرغين للجندية ، وذلك تبعاً لسياسة الدولة الإسلامية [٦٧].

كان عامل الجند بمصر فى ولاية مسلمة بن مخلد يسمى أنتيناس، جمع له مسلمة الجند والخراج بعد مقتل وردان فى البرلس سنة ٥٣هـ ، وكان مسلمة قد كتب إلي

---

(٦٣) تروى كتب السير أن غزو القسطنطينية حدث في سنة ٤٩ هـ وعلي ذلك يمكن القول بأن معاوية أستمد ولاة الأمصار فأرسل له مسلمة بن مخلد قوة بحرية يقودها عابس بن سعيد أبن الأثير الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٣١٤

(٦٤) يذكر السيوطى أن مسلمة ولاة الشرطة وأضاف اليه القضاء ، وربما حدث ذلك في غياب قاضيها سليم بن عتر التجيبي
حس المحاضرة ، ص٩٧

(٦٥) الكندي ، ولاة مصر ، ص ٦٢

(٦٦)حدد الماوردي الشروط الواجبة لإثبات الجند في الديون منها البلوغ والحرية والإسلام والشجاعة والسلامة من الآفات
الأحكام السلطانية ، ص ، ٢٠٣ ، ٢٠٤

(٦٧)يذكر بن عبد الحكم أن الخليفة عمرو بن الخطاب كتب إلي عمرو بن العاص أن عطاء الجند قائم ورزق عيالهم سائر فلا يزرعون ولا يزارعون .
فتوح مصر ، ص ١١١

الخليفة معاوية أن يخصص داراً لأنتيناس، فأمره معاوية أن يشترى له دار وردان مولى عمرو بن العاص[٦٨]. لأنها قريبة من المسجد ودار الإمارة ، على أن يخطط لوردان أى دار شاء، فأعطى مسلمة الدار لإنتيناس، واختط لوردان داراً اخرى[٦٩].

ولاشك أن الجيش لعب دورا رائداً سواء فى الفتوحات الخارجية أو فى تأمين حدود مصر، فعلى الصعيد الخارجى ساهم الجيش الذى قاده أبو المهاجر ديناراً فى التوغل فى إفريقية وفتح بلاد المغرب الأوسط، كما ساهم فرع آخر من الجيش فى الحملة التى أرسلها معاوية بن أبى سفيان إلي القسطنطينية كما سبق أن أشرنا ، وعلى الصعيد الداخلى فقد إستطاع عمرو بن العاص أن يطارد الروم ويحول دون إحتلالهم الدلتا[٧٠]. وقد تتابعت هجمات الروم على السواحل المصرية ، ففى سنة ٥٣هـ/ ٦٧٢ نزل الروم البرلس ، فأخرج لهم مسلمة بن مخلد جيشاً هزمهم وطاردهم واستشهد وردان قائد الجيش[٧٠] .

**ديوان القضاء :** وظيفة القاضى من الوظائف المرموقه ، وكان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع العمل الذى يقوم به ، وكان القاضى يتبع الخليفة مباشرة، وربما يجمع الوالى بين الولاية والقضاء ، وقد لوحظ أن القاضى كان أكثر إستقراراً من الولى فى منصبة ضماناً لإستقرار العدالة، وقد تقلد القضاء فى مصر فى ولاية مسلمة بن مخلد القاضى سليم بن عتر التجيبى ، وكان قد تقلده مدة عشرين سنه من ٤٠-٦ هـ [٧٢].

---

(٦٨) وردان مولي عمرو بن العاص كان علي علم بلغة القبط وسائر اللغات ، فكان عمرو يرسله إلي الملوك برسائله ، تولي خراج مصر في فترات كثيرة منذ الفتح حتي كان زمن مسلمة بن مخلد الواقدي ، فتوح الشام ، جـ ٢ ، ص ٥٣

(٦٩) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٣

(٧٠) سيدة إسماعيل الكاشف ، مصر في فخر الإسلام ، ص ٨٨

(٧١) الكندي ، ولاة مصر ، ص ٦١

(٧٢) ذكر أبن عبد الحكم أن سليم بن عتر أدرك زمن عمرو بن الخطاب وحضر مؤتمر الجابية وولاة عمر القضاءعلي مصر ، وهو من الصحابة الزاهدين ، صاحب أبو هريرة الدوسي وقد أورده السيوطى ضمن مشاهير التابعين وراواه الأحاديث نزلو مصر فتوح مصر ١٥٢ ، حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ١٠٥

وكان مسلمة بن مخلد يعول على القاضى سليم بن عتر فى القيام بالأعمال التى تخص أمن مصر فيروى أنه حينما امتنع عبد الله بن عمرو بن العاص عن البيعة ليزيد بن معاوية ، أرسل مسلمة له قائد الشرطة عابس بن سعيد ومعه القاضى سليم ، وكريب بن ابرهة الصباح من أشراف أهل مصر(٧٣) وأجبروه على البيعة(٧٤)، هذا وقد بلغ راتب القاضى فى مصر مائتى دينار فى السنه وكان يأخذها من بيت المال .

## ديوان الخراج في مصر والأقاليم التابعة لها :

يعد جمع الخراج في مصر وارساله للخليفة من أهم وظائف الوالي ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب يرسل إلي عمرو بن العاص ليبعث إليه الخراج عينا ونقدا ، وذلك لمواجه الشدة التي كان عليها الحجاز في عام المحاعة ، فأرسل عمر إليه الطعام والزيت والحنطة والعسل والخل والثياب والجبب والعمائم ، ثم إنقطع ذلك أيام الفتنة التى إنتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان ، ثم إستونف إرسالها فى عهد معاوية ابن أبى سفيان وابنه يزيد ، وكان الخراج يحمل إلى مدينة الرسول عبر خليج أمير المؤمنين ، ثم إنتقل إلى دمشق فى عهد بنى أمية(٧٥) .

رفض وردان رغبة الخليفة معاوية فى زيادة الخراج على المصريين(٧٦). فقد كانت هناك نظم تحكم عملية الخراج ، فقد روى أن الخليفة عمر بن الخطاب أرسل الى عمرو بن العاص ليستشير البطريق بنيامين زعيم القبط حول أفضل وسيلة لجباية خراج مصر، فأشار عليه البطريق بأن يستخرج الخراج فى وقت واحد عند فراغ الناس من زروعهم ، وأن يرفعه فى آن واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ، وان يحفر خلجانها ،

---

(٧٣) يذكر بعض المؤرخين أن له صحبة مع النبى عليه السلام ، وينكرها البعض الآخر روى عن بعض الصحابة مثل حذيفة من اليمان ، وأبي الدرواء وغيرهما ، وروي عنه كبار التابعين في مصر .

أبن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٢٣٨

(٧٤) أبن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٥٤ وقد أورد وكيع القصة التي ذكرها أبن عبد الحكم وإلاأنه حرف في الأسماء فذكر عابس بن سعيد ، وسليم بن ذكره سليمان بن عنزر

أخبار القضاة ، جـ ٣ ، ص ٢٢٤

(٧٥) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢١٤

(٧٦) كتب معاوية إلى وردان أن يزيد على كل رجل من القبط فى الخراج مقدار قيراط، فرفض وردان لأن العهد الذى بين العرب والقبط يشترط إلا يزيد عليهم شئ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٧٩ .

ويصلح جسورها، ويسد ترعها ، وأن لا يختار عامل ظالم ليلى أمور الناس[٧٧]، هذا وقد استمر وردان عاملا على الخراج حتى أستشهد فى معركة البرلس سنة ٥٣ هـ .

وقد كان رويفع بن ثابت الانصارى من صحابة رسول الله يتولى برقة من قبل مسلمة بن مخلد وجعل مقر اقامته فى قرية تسمى جربة قرب قابس ، وينسب الى هذا الرجل أنه أقر أموراً الزم بها أهل برقة نقلها عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم) منها أنه لا يحل لرجل أن يأتى الحبالى من الفيىء ، ولا يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولا يبيع مغنما حتى يقسم ، ولا يركب دابة من فيىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها ، وأن لا يلبس ثوباً من الفىء حتى إذا أخرقه رده[٧٨] ، ويفهم من سير الأحداث أن أهل برقة كانوا على علاقة طيبة بعاملهم ، فقد ورد أنه كان يحصل الخراج منهم دون حادث أو مستحث ، ويقوم بارسالة إلي والي مصر ، وهذا يدل علي أن مسلمة لم يجد صعوبة في حكم برقة ولم تدخلها فتنة[٧٩].

بلغت جملة ما كان مايرسلة مسلمة بن مخلد من الخراج الي دار الخلآفة يتألف من جملة خراج مصر مضافا الية ما يرسلة عاملة علي برقة ، وما يرسلة أبو المهاجر دينار عاملة علي بلاد المغرب ، وقد اشارت بعض النصوص الي ان مقدار الخراج الذي كان يرسلة نقدا طوال فترة ولايته ستمائة ألف دينار[٨٠] صافى ، بعد ان يستخلص المصروفات الادارية التي كان ينفقها علي الجند والإدارة وأهل الديوان وأولادهم ، ونوائب البلاد من الجسور ، وأرزاق الكتبة ، ومصاريف حمل القمح إلي الحجاز ، ويمكن تقدير جمله الانفاق السنوي في مصر بنحو مائتي الف دينار[٨١]. وقد حرص مسلمة بن مخلد علي مداومة الاشراف علي الدواوين ، لذلك وافق علي تخصيص دار وردان القريبة من الديوان لانتيناس صاحب ديوان الجند ، واستقطع لوردان داراً غيرها[٨٢].

---

(٧٧) الفريد بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٤٧٠ .
(٧٨) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ١٩١.
(٧٩) البلاذرى ، فتوح البلدان، ص ٢٢٢.
(٨٠) M. A. Shaban, Ialamic History, part (1) P. 81
(٨١) المقريزى ، الخطط ، جـ ١ ، ص ٧٩ .
(٨٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٣ .

وترجع نشأة الدواوين في الدولة الإسلامية إلي الخليفة عمر بن الخطاب الذي بذل جهداً كبيراً في اقامها ، وكان الغرض من إنشائها صبط الأموال الواردة إلي الدولة ، وتقدير العطاء المفروض للأجناد وأسرهم ، وتقدير الانفاق علي ما تتطلبه أمور الدولة ، وفيما يخص ديوان الجند في مصر فقد أنشأه عمرو بن العاص بناء علي تعليمات الخليفة عمر ، وكان قريب الشبة بديوان الجند في المدينة ، فقد روعي فيه إثبات الجند علي حسب قبائلهم ، والمعروف أن الخطط التي أقامها عمرو وكانت تقوم علي نظام القبائل ، وكانت كل قبيلة تختط لنفسها خطة مستقلة عن القبائل الأخري ، وقد انتظم في ديوان مصر في ولاية مسلمة نحو أربعين الفا ، وكان عطاء كل واحد منهم مائتي دينار(٨٣) .

اتبع مسلمة نظاما دقيقا في تنظيم السجلات والمواليد والغاء الوفيات من الديوان فقدجعل علي كل قبيلة رجل منهم يدور علي القبيلة يسأل عن المواليد ويثبتها في الديوان ، وحرصا منه علي الرعية لم يركن الي أحد في توزيع العطاء بل تولاه بنفسه(٨٤) ، هذا وقد ظلت الدواوين في مصر تكتب باللغة القبطية(٨٥) .

وكانت الاقاليم التي تتضمنها ولايه مصرتحت سلطة واشراف مسلمة بن مخلد مباشرة ، ولم يعط لعمالة علي الاقاليم مرونه فى التصرف إلا فى حدود ما يأمر به حتى لا يتمكن أحد منهم ويستقل عن الولاية ، وهذا يدل علي ان حكمه كان مركزيا ، وكان الوالي وهو الأخر تحت سيطرة الخليفة فى دمشق ، وقد استأثر الخليفة لنفسه بتولية بعض العمال دون الرجوع إلى الوالى مثل القضاة ، وكان للخليفة صاحب بريد يكتب له أولاً بأول عن سيرة الولاة ، وبالمثل كان لمسلمة بن مخلد الأنصارى بريد يكتب له بأخبار عمال الأقاليم الواقعة فى دائرة نفوذه(٨٦) ، وهذا لا ينفى أن مسلمة

---

(٨٣) المقريزى ، الخطط، جـ ١ ، ص ٩٤ .

(٨٤) المصدر السابق والصفحة ، السيوطى حسن المحاضرة جـ ١ ، ص ٦٥، ٦٦ .

(٨٥) ظلت الدواوين تكتب باللغة القبطية إلى أن تحولت الى العربية فى ولاية عبد الله ابن عبد الملك والى مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان ،ابنه الوليد ، أنظر عبد الرحمن فهمى ، النقود العربية ماضيها وحاضرها، طبعة وزارة الثقافة ١٩٦٤ ، ص ٣٤ .

(٨٦) د/ سيدة الكاشف ، مصر فى فجر الإسلام ، ص ٣٩ .

بن مخلد قد تمتع بقسط من الحرية من قبل الخليفة وسيادة التفاهم بينهما ويؤكد هذا إمتداد فترة ولايته على مصر لأكثر من خمسة عشرا عاماً قام خلالها بأداء أعمال بارزة داخلياً سواء الناحية الإدارية أو العمرانية .

## الاقتصاد المصرى فى ولاية مسلمة بن مخلد :

هيأ توافر الظروف لمصر مركزاً إقتصادياً مرموقاً ، فلم نسمع بأن مصر تعرضت لجفاف أو نقص فى مياه النيل طول فترة حكم مسلمة ، وذلك بمتابعة مقياس النيل الذى دأب ابن تغرى بردى على ذكره ضمن أحداث كل سنة[٨٧] ، هذا إلى جانب السياسة الزراعية التى أقرها الخليفة عمر بن الخطاب حينما رفض توزيع الأراضى فى البلاد المفتوحة على الجند وتركها لأهلها على أن يؤدوا عنها الخراج ، وقد عرف مسلمة واجبه نحو طبقة المزراعين فى مصر ويقوم على توفير أسباب النهوض بالزراعة ، والاشراف على وسائل الرى ، والاهتمام بالجسور ، وحفر الترع ، وتوفير الأموال التى تلزم للإنفاق على عملية الإصلاح ، وقد ذكرنا أن البطريق بنيامين زعيم قبط مصر بحث مع عمرو بن العاص سبل توفير الخدمات للفلاحين من حفر الخلجان ، وإصلاح الجسور وسد الترع [٨٨] ، حتى يضمن قيام الفلاحين بدفع الخراج المقدر على أراضيهم ، وقد اتخذ مسلمة بن مخلد خطوات كان من شأنها النهوض بالزراعة ، فكان إذا عجز أحد أو شكا ضعفاً فى أرضه نزع ما عجز عنه عن الاحتمال ، وإذا كان منهم من يريد الزيادة أعطى ما عجز عنه أهل الضعف ، وكانت قسمة الأرض على الفدان والقيراط[٨٩] .

وقد أولى مسلمة بن مخلد الأنصارى نيل مصر جانباً كبيراً من اهتمامه ، وكان حريصاً على معرفة مقدار الزيادة والنقص فيه وتابع خطة من سبقه من الولاة فى بناء مقاييس للنيل ، فالمعروف أن عمرو بن العاص بنى مقاييس للنيل فى مدينتى حلوان

---

(٨٧) يذكر ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة أن النيل كان دائما فى الزيادة طول فترة حكم مسلمة فلم يقل ارتفاعة عن أربعة عشر ذراعا ، وقد وصل فى بعض السنين إلى واحد وعشرين ذراعاً جـ ١ ، ص ١٣٧ وما بعدها .

(٨٨) بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٤٧٠ .

(٨٩) السيوطى حسن المحاضرة ، ص ٦٢ .

ودندرة ، فزاد عليهما مسلمة بن مخلد مقياساً فى مدينة أنصنا من نواحى الصعيد شرقى النيل(٩٠) .

والمعروف أن المصريين اهتموا بالزراعة منذ القدم وقسموا السنة إلى مواسم زراعية على مدار السنة ، وقد ظل افتتاح الخراج فى النيروز الفارسى الموافق شهر توت والشهر العربى رجب(٩١) .

أدى النشاط الزراعى ووفرة الغلات الزراعية إلى إزدهار الصناعة وتنوع المصنوعات ، فإرتبطت صناعة السكر بإنتشار زراعة القصب ، وصناعة الحرير من دودة القز التى تكثر فى شهر برمهات(٩٢) وصناعة النسيج من الصوف والكتان وعصر الزيوت والصبغة والجلود والأوانى الخزفية ، كما انتشرت صناعة قطع الأخشاب للإستهلاك المحلى وصناعة السفن(٩٣) وصناعة الخل .

إزداد النشاط التجارى فى مصر فى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى ، وحدث تبادل تجارى بين مصر وكل من السودان وأواسط أفريقية ، وقد ظلت مصر تستورد الرقيق من بلاد النوبة وتصدر إليها الحبوب مثل القمح والعدس ، وذكر بعض مشايخ أهل مصر أن الذى صولح عليه أهل النوبة(٩٤) أن يؤدوا إلى المسلمين أربعمائة رأس كل سنة ، منها ثلاثمائة وستين رأساً لفىء المسلمين ، ولوالى البلد أربعين رأساً(٩٥) ، وكانت التجارة من وإلى البلدين عن طريق الملاحة سواء فى البحر الأحمر أو النيل عند أسوان ، كما كانت مصر تتاجر مع دول وسط أفريقية عن طريق ميناء عيذاب ، هذا إلى جانب ما كانت تقوم به مصر كوسيط تجارى بين الشرق والغرب ، وقد تاجرت مع

---

(٩٠) ذكر ابن عبد الحكم أن أول من قام بقياس النيل هو نبى الله يوسف عليه السلام ، ثم وضعت العجوز دلوكه ابنه زياء ملكة تدمر صاحبه حائط العجوز مقياسا صغيرا بأنصنا وهى مسقط رأس السيدة مارية بنت شمعون زوج الرسول ( ) فتوح مصر ص ٢٣، ٤٢

(٩١) المقريزى الخطط جـ ١ ص ٢٧٠ ، ٢٧١

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(٩٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ٦٧ ، ٨٤

(٩٤) يذكر البلاذرى إن عبد الله بن سعد ابى استحاب لطلب أهل النوبة بالصلح والموادعة سنة ٣١ هـ على هدية ثلاثمائة رأى فى كل سنة من غير جزية على أن يهدى المسلمين اليهم طعاما بقدر ذلك فتوح البلدان، ص ٢٣٤ السيوطى ، حسن المحاضرة ص ٦٢ .

(٩٥) ابن عبد الحكم ، فتوح ص ١٢٨ .

الدول المجاورة فكانت تصدر إليها القمح والكتان وتستورد الأنواع الجيدة من الأخشاب لصناعة السفن[٩٦]، هذا وقد حرص الولاة على إقامة الأسواق الداخلية ، وكان أشهر هذه الأسواق سوق وردان الذى كان بجوار دار الإمارة والمسجد[٩٧] وكان البسوق عبارة عن مجموعة من الحوانيت تطل على مساحة مكشوفة فى الوسط وظهرها إلى الخارج[٩٨] ، وقد أقر مسلمة الموازين والمكاييل البيزنطية التى كانت سائدة بمصر[٩٩] .

أولي مسلمة بن مخلد الإسكندرية جانبا كبيرا من اهتمامه ، فهي إلي جانب أهميتها السياسية كانت أكبر منفذ لمصر تحمل منه صادرات مصر ، وقد اهتم الولاه بأمر الإسكندرية لأنها كانت عاصمة الروم وكانوا دائما يحلمون بالعودة إليها ، لذلك حرص مسلمة علي الإقامة فيها فترات كثيرة ، وهذا يفسره إقامته فيها منذ أن خرج إليها سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م وحينما توفي معاوية كتب مسلمة إلي نائبه علي مصر عابس بن سعيد يأخذ البيعة ليزيد بن معاوية وظل هو بالإسكنتدرية حتي نهاية سنة ٦١/هـ٦٨١م[١٠٠].

## مسلمة بن مخلد والنهضة العمرانية:

اهتم مسلمة بن مخلد الأنصاري بالنهضة العمرانية في مصر ، وتابع مابدأه عمرو ابن العاص ، وكانت حركة الإصلاح قد توقفت أثناء الفتنة التي حدثت بالحجاز وإنتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان والنزاع الذي حدث بمصر بين محمد بن ابي حذيفة ومحمد بن أبي بكر وبين شيعة عثمان بن عفان شغل الولاه عن الإصلاح ، واستمر ذلك إلي أن انتقل الحكم في مصر إلي بني أمية ، ولعل أول مظاهر اهتمام مسلمة بن مخلد بالعمارة هي قيامه باعادة بناء وتطوير المسجد الجامع الذي بناه عمرو بن العاص ، فقد كان المسجد في أول أمره بناء بدائيا يبلغ مساحة ألفا وخمسمائة ذراع طوله خمسون

---

(٩٦) د/ سيدة الكاشف مصر فى فجر الإسلام ، ٢٩٨ .

(٩٧) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٨٣ .

(٩٨) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية ، عالم المعرفة سنة ٨٨ ، ص ٢٥٧ .

(٩٩) يذكر الدكتور عبد الرحمن فهمى أن أول ظهور المكاييل والموازين العربية كان فى عهد الوالى قرة بن شريك ( ٩٠ - ٩٦هـ)

(١٠٠) الكندى ، ولاة مصر، ص ٦٢ .

ذراعاً وعرضه ثلاثون ، وكان سقفه مطأطأ غير مستقيم بالإضافة إلي عدم وجود صحن له ، فأصبح مع مرور الزمن غير قادر علي تحقيق الغرض الذي بني من أجله ، فضاق بالمصلين ، حتي أصبحوا يصطفون للصلاة في الفضاء الموجود أمامه ، وفي الطريق الممتد حوله ، فأدي ذلك إلي إغلاق الأبواب الخاصة به ، كما أن قبلة المسجد كانت منحرفة إلي جهة الشرق[١٠١] .

تقدم أهل مصر إلي مسلمة بن مخلد يشكون ضيق المسجد، فكتب مسلمة بدوره إلى الخليفة معاوية يطلب منه الإذن فى إعادة عمارة المسجد[١٠٢] فأذن له، وكان ذلك سنة ٥٣ هـ/٦٧٢م وتعد هذه أول زيادة في المسجد فقام مسلمة بضم المساحة الموجودة حول المسجد من جهتى الشرق والشمال، وجعل للمسجد رحبة من جهة الشرق، ثم قام بطلاء المسجد بالجص ونقش جدرانه وسقوفه بزخارف إسلامية، وأعاد إصلاح منبره علي ما أمر به الخليفة عمر بن الخطاب[١٠٣].

أضاف مسلمة إلي المسجد مناراً ـ أي مئذنة ـ وجعل له أربع صوامع في أركانه الأربعة، وجعل فوق كل صومعه مئذنة نقش عليها اسمه، ومنع المؤذنيين من الصعود علي سطح المسجد للآذان حتي لا يكشفون عورات الناس في البيوت المجاورة للمسجد، وأعاد وضع القبلة تجاه مكة، كما رسم المحراب علي الحائط لأن المحراب لم يأخذ شكله الحالي إلا في سنة ٩٢ هـ/٧١٢م[١٠٤]، كما أعاد فرش المسجد بالحصير بعد أن كان مفروشاً بالحصباء، واهتم بأمر إقامة الشعائر فزاد في عدد المؤذنين وأمرهم بالآذان لصلاة الفجر علي أن يلتزموا بتوحيد وقت إقامة الصلاة في مدينة الفسطاط[١٠٥]، وكلف مسلمة بن مخلد القاضي سليم بن عتر بالإمامة في مسجد عمرو بن العاص[١٠٦].

---

(١٠١) بتلر، فتح العرب لمصر ، ص ٣٦٤ .

(١٠٢) يذكر السيوطى أن مسلمة أول من أدخل الزيادة فى المسجد على بنيان عمرو بن العاص حسن المحاضرة ، ص ٥٨٠ .

(١٠٣) السيوطى ، حسن المحاضرة، ص ٥٨٠ .

(١٠٤) بتلر ، فتح العرب لمصر ، ص ٣٦٤

.Barbara Watterson: The Egyptians (Ialamic Egypt) p. 277

(١٠٥) الكندى ، ولاة مصر ، ص ٦٢

(١٠٦) ابن حجر ، رفع الإصر عن قضاة مصر ، القاهرة ١٩٥٦، جـ ١ ، ص ٢٥٥.

وتأكيداً لمشاركة السلطة الحاكمة في مصر لأهل الذمة باعتبارهم جزءاً من المجتمع، فقد حرص مسلمة بن مخلد علي الإهتمام بالعمارة الدينية لهم فأمر النصاري ببناء كنيسة، وكانت هذه أول كنيسة تقام في مصر منذ الفتح الإسلامي، وقد قوبل هذا العمل بالمعارضة من بعض رجال الدين حيث نافره بعضهم حتى كاد أن يقع بينه وبينهم قتال، إلا أن ذلك لم يثنه عن إتمام العمل، وقد اختار للكنيسة مكاناً مناسباً بعيداً عن خطط المسلمين وقريباً من أرض القبط(١٠٧).

وقد عاش القبط في أمان ولم يتعرضوا للعسف فقد أعان مسلمة الأب أغاتو الذي خلف الأب بنيامين ضد تسلط مقدم الأرثوذكس في الإسكندرية ومريوط، كما يذكر أنه كان بسخا قوماً من النصارى يستعرضون الناس ويقتلونهم ويحرقونهم، فجمع مسلمة سبعة أساقفة وأرسلهم إلى سخا، فأجتمعوا مع واليها وأعادوا إليها الأمان(١٠٨).

لما تعددت المصالح دعت الحاجة إلي تجميع مراكز الخدمات فى مكان واحد حتي يسهل على الوالى متابعة الأعمال والإتصال بالعمال، من أجل ذلك كتب مسلمة بن مخلد الأنصارى إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان يستأذنه فى شراء دار وردان مولى عمرو بن العاص التى تسمى بدار النحاس ليجعلها ديواناً، وأعطى وردان داراً عوضاً عنها بجوار سوق وردان(١٠٩)، كما أوضحنا سابقاً.

توفي مسلمة بن مخلد فى شهر رجب سنة ٦٢هـ/ ٦٨١م وترك ابنة تسمى أم سهل تزوجها أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان ولم يعقب غيرها، وبوفاة مسلمة إنقسمت ولاية مصر وبلاد المغرب إلى ولايتين، وشهدت بلاد المغرب عهداً جديداً من الفتوحات الإسلامية التى بدأت فى عهد مسلمة حيث أن واليه على المغرب أبو المهاجر دينار هو أول مسلم وطئت خيله المغرب الأوسط. وفى نفس الوقت دخلت مصر طرفاً فى النزاع الذى قام بين عبد الله بن الزبير وبنى امية.

---

(١٠٧) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٩٤ .
(١٠٨) ساويرس: سير الآباء البطارقة ، جمعية الآثار القبطية جـ ١ ، ص ١٢٢ ، ١٢٤ .
(١٠٩) المقريزى ، الخطط، جـ ١ ، ص ٣٤٦ .

# خاتمـــة

عالج البحث تاريخ مصر في فترة من أخصب فترات الحكم الأموي ، فقد أستطاع مسلمة بن مخلد أن يقر أمور الدولة في مصر طوال خمسة عشرا عاماً ، تعد أطول فترة يقضيها والي في مصر في العصر الأموي من بين اثنين وثلاثين واليا باستثناء الوالي عبد العزيز بن مروان .

ولا شك أن طول فترة حكم مسلمة لمصر مكنته من تحقيق سياسة الدولة الأموية داخليا وخارجيا ، وفرض الآمان ، وتطوير الإقتصاد ، فقد نجح مسلمة في إقرار الآمان بالتصدي لمحاولات الروم للنيل من مصر ، كما ساند الدولة بجيش مصري في فتوحاتها الخارجية ، وغير من استراتيجية الفتح الإسلامي في بلاد المغرب ، فاصبح منظماً بعد أن كان العرب يقومون بغارات خاطفة ثم يعودون إلي مصر ، ونجح أي حد بعيد في نشر الإسلام في المغرب الأوسط .

يضاف إلي ماسبق أنه اطلق يده في الإصلاح الداخلي ، فاهتم باختيار الهيئة المعاونة له ، وأكد النظم الحضارية في مصر ، وعمل علي إنعاش الإقتصاد المصري بمتابعة إصلاح الزراعة والتجارة وإنشاء جيش قوي ، وإقرار التوأمة بين عنصري الأمة من المسلمين والأقباط ، كما تابع أعمال العمارة الإسلامية والقبطية علي حد سواء .

ونتيجة لما سبق راج الآمان في مصر طول فترة حكم مسلمة ، فلم يشهد ثورة أو عصيانا مثلما حدث فيها قبل توليته أو بعد وفاته ، ويرجع ذلك إلي قوة شخصيته وبراعته في الهيمنة علي الأمور في مصر .

# قائمة المصادر والمراجع


**ابن الأثير ، علي ابن المكرم الشيباني ت : ٦٣٠ هـ.**

١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار احياء التراث العربي ، لبنان

٢ - الكامل في التاريخ ، تحقيق عبد الله القاضي دار الكتب العلمية بيرون

أودلف جروهمان :

٣ - أوراق البردي العربية ترجمة د/ حسن إبراهيم حسن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤م

**البلاذري ، يحي بن جابر ( من اعيان ق ٣هـ )**

٤ - فتوح البلدان مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٣ م

**ابن تغري بردي ، يوسف ت ٨٧٤ هـ**

٥ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة وزارة الثقافة جـ ١

**ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني .**

٦ - رفع الإصر عن قضاة مصر ، تحقيق حامد عبد المجيد وآخرين ،و القاهرة سنة ١٩٥٦ .

**ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ .**

٧ - جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف .

**دكتور / حسين مؤنس ،**

٨ - فتح العرب للمغرب نشر دار الثقافة الدينية

**ابن خياط : خليفة**

٩ - تاريخ خليفة بن خياط دار صادر الرياض ١٩٨٥

**ساورس بن المقفع :**

١٠ - سير الآباء البطارقة نشر جمعية الآثار القبطية القاهرة ١٩٤٣ .

**دكتور / سعد زغلول عبد الحميد**

١١ - تحقيق كتاب ( الاستبصار في عجائب الامصار ) دار الشئون الثقافية الكويت ١٩٨٥

١٢ - تاريخ المغرب العربي دار منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩ .

**دكتورة / سيدة إسماعيل الكاشف :**

١٣ - مصر في فجر الإسلام دار الرائد العربي بيروت ١٩٨٦

**السيوطي : جمال الدين : ت ٩١١ هـ**

١٤ - تاريخ الخلفاء - المكتبة التجارية الكبري ، ط ١٩٦٩

١٥ - حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة

**الطبري : محمد بن جرير ت ٣١٠هـ**

١٦ - تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف جـ ٦، ٧ .

**ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله .**

١٧ - فتوح مصر وأخبارها تحقيق محمد صبيح مؤسسة دار التعاون ، عبد الرحمن فهمي محمد :

١٨ - النقود العربية ماضيها وحاضرها ، وزارة الثقافة ، ١٩٦٤.

١٩ - صنج السكة في فجر الإسلام ، دار الكتب ، ١٩٥٧

**الفريد بتلر :**

٢٠ - فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، مكتبة مدبولي سنة ١٩٩٦ .

**ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ**

٢١ - المعارف تحقيق د. ثروت عكاشة دار المعارف ط ٤

**الكندي : محمد بن يوسف**

٢٢ - ولاة مصر ، تحقيق د/ حسين نصار دار صار بيروت

**المقريزي : أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ**

٢٣ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، نشر مؤسسة الحلبي جـ ١ .

٢٤ - تاريخ اليعقوبي دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

**يوسف العش :**

٢٥ - الدولة الأموية دار الفكر للنشر بدمشق طبعة ثانية ١٩٨٥

**Barbara watterson:**

26- The Egyptians (Islamic Egypt).

**Jamil, M. A Bun-nasr**

27- A History of Maghrib, London 1975.

**Lane Poole (s);**

28- A History of Egypt in middle ages, London 1936.

**M.A. Shaban**

29- Islamic History, cambridge 1971.